

تَفْرِيف

الأنبياء

في زَمَنِ الْفِتَنِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْحَدَّادِ

حَفَظَهُ اللَّهُ



ميراث الأنبياء
Miraath.Net



قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْرُ مَوْقِعَ مِيرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُقَدَّمَ لَكُمْ نُسْجِيلاً لمَحَاضِرَةٍ بِعَنْوَانِ:

التربية في زمن الفتن

ألقاها

فضيلة الشيخ الدكتور: علي بن يحيى الحدادي

— حفظه الله تعالى —

يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر، عام خمسة وثلاثين وأربع مائة وألف هجريًا،

بجامع الأميرة صيثة بمدينة جازان،

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا الْجَمِيعَ.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ
فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا،

أما بعد:

فأحمدُ الله - سبحانه وتعالى -، وأشكره على أن منَّ علينا بهذا اللقاء، في بيتٍ من بيوته، وأسأله أن
يجعله لقاءً مباركاً نافعاً لي ولمن يستمع إليه، إنه سميعُ الدعاء، ومن لا يشكرُ الناس لا يشكرُ الله،
فالشكر - بعد شكر الله - للإخوة الذين قاموا واجتهدوا وكانوا وراء إعداد هذا اللقاء، فلهم منَّا
الدعاء، ونسأل الله - عزَّ وجلَّ - أن يجعلهم مباركين دائماً وأبداً، ونشكر للمكتب التعاوني في مدينة
جيزان، وللإخوة في فرع وزارة الشؤون الإسلامية، ولفضيلة إمام هذا المسجد، ولجميع الإخوة
الذين شاركوا وساهموا في إعداد هذا اللقاء.

كما سمعتم، وكما أُعلن عن عنوان هذه الكلمة: «تربية الأبناء في زمن الفتن»، ولا شك أنه
موضوع عظيم وموضوع بالغ الأهمية، ولا يمكن الإحاطة به من جميع جوانبه في مثل هذه الكلمة
المختصرة، وإنما هي عبارة عن تنبيهات وإشارات، أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن تكون نافعة.

أيُّها الإخوة، الأبناء نعمة من الله - جلَّ وعلا -، نعمة امتنَّ الله بها على عباده، كما قال - سبحانه
وتعالى -: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ أَوْ

يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ الشورى: ٤٩ - ٥٠ ،

فبيّن -سبحانه وتعالى- أن الأولاد هبة ونعمة منه -جلّ وعلا-، هو الذي يرزق من يشاء بنعمة الولد، وهو إذا شاء أيضاً يمنع على مُقتضى حكمته وعلى مُقتضى علمه -جلّ وعلا-، وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَالِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ النحل: ٧٢ ،

فامتّن الله -سبحانه وتعالى- في هذه الآية على عباده بنعمة الأزواج، وبنعمة البنين، بنعمة الأولاد، فهم نعمة، ومن وجوه النعمة فيها أنهم زينة، زينة في هذه الحياة الدنيا، وأنهم عون لآبائهم وأمهاتهم، فهم فرحة وبهجة في صِغَرِهِمْ، وعون في كِبَرِهِمْ، وبعد الموت إذا كانوا أولاداً وذريةً صالحين كانوا من أسباب استمرار العمل الصالح، واستمرار الأجر والثواب بعد أن يُقفل بالموت، كما قال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي أخرجه مسلم: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ» وذكر من هذه الثلاث: «وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»، فهذا باب يدخل إليك منه الأجر بعد موتك.

فالنعمة بالأبناء أو بالبنات نعمة عظيمة جليلة، ولكن متى تتم هذه النعمة بالبنين، متى تتم هذه النعمة بالبنات، متى تتم هذه النعمة بالذرية؟

إنما تتم إذا كانوا ذريةً طيبة، ذريةً سالحة، فليس الشأن أن يُولد لك ولد، أن تُوهب لك بنت، وإنما الشأن أن تكون هذه الذرية ذريةً طيبةً، ذريةً مباركة، ذريةً سالحة، ولهذا دعا زكريا ربه، فماذا

قال؟ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ آل عمران: ٣٨ ،

فقيّد الذرية بأن تكون ذرية طيبة، وفي الآية الأخرى قال -سبحانه- عن زكريا: ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ

آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾ مريم: ٦،

فدعا بذرية طيبة، دعا أن يُرزق بولد رضي مرضي، يعني يسير على ما يُرضي الله -جلّ وعلا-، وهكذا أيضًا -سبحانه وتعالى- ذكر عن عباد الرحمن أنهم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ

أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ الفرقان: ٧٤.

فإذا العبرة بالبنين بالبنات والانتفاع بهم وتمام النعمة بهم إذا كانوا على خير، وإذا كانوا على صلاح، أما إذا كانوا على غير ذلك وعلى العكس من ذلك فربما يكونون وبالاً على آبائهم وعلى أمهاتهم، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ

فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ التغابن: ١٤،

فإذا قد يكون هذا الولد إذا لم يكن صالحاً؛ يكون وبالاً على والديه، يُصيبهم منه أنواع وألوان من الأذى والشُّرور، من العقوق والظلم والضرب والسب والشتم، حتى يصل لبعض الأبناء -والعياذُ بالله- إلى قتل آبائهم، وإلى قتل أمهاتهم؛ إما بتأثير المخدرات والخمور، أو بغير ذلك من الأسباب والمؤثرات.

فإذا على الأب على الأم أن يحرص غاية الحرص أن تكون ذريته التي رزقه الله -عزّ وجل- إياها ذرية طيبة صالحة مُباركة.

ونحن نعلم أن الصلاح والهداية بيد الله -جلّ وعلا-، فهو يهدي من يشاء برحمته وبفضله، وهو يُضل من يشاء -سبحانه وتعالى- بحكمته وعدله، فإذا كان الصلاح بيد الله -جلّ وعلا-، قد يقول قائل: إذا ما دور الأب وما دور الأم في صلاح الأبناء؟

نقول: أنت عليك بذل الأسباب الممكنة، عليك بذل الأسباب والاجتهاد فيها، أسباب صلاح الأبناء والبنات، والله -جلّ وعلا- لن يُضَيِّعَ بإذن الله، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، فأنت ابذل الأسباب، واجتهد، والله -سبحانه وتعالى- يتفضل على عبده، والله - عزّ وجل- واسع العطاء، واسع الفضل -سبحانه- .

فاطمئن - إن شاء الله - أنك إذا بذلت جُهدك أن تجِدَ ثمرة هذا الجهد، ولو تأخّرت، الفرج أحياناً يتأخّر، إجابة الدعاء قد تتأخّر، الثمرة المرجوة قد لا تنضج، وتصلح في وقت قريب، وإنما يأتي بها الله بعد زمن، فالوصية والنصيحة للآباء والأمهات أن يجتهدوا في بذل الأسباب، وألا يتعجلوا ثمرة جهدهم واجتهادهم، ولا يدخلهم اليأس والقنوط إذا لم يجدوا استجابة في بادئ الأمر.

أسباب صلاح الأبناء وصلاح البنات وأسباب حمايتهم من الشرور والفتن كثيرة، وسنذكر بعضاً منها، من هذه الأسباب:-

● **أولاً: حسن اختيار الزوجة، فالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في الصحيحين يقول: «تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ؛ لِمَالِهَا، وَلِحِمَاهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرِ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»**

فإذًا بين النبي - عليه الصلاة والسلام - أن رغبات الرجال في النساء تكون لأحد هذه الخصال الأربع، منهم الباحث عن الجمال، منهم الباحث عن المال، منهم الباحث عن الحسب، منهم الباحث عن الدين.

فأرشدك النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى أن تحرص غاية الحرص على أن تظفر بذات الدين،
لم؟

لأن هذه الزوجة غداً هي - إن شاء الله - أم أولادك، وهي عونك ورفيق دربك في تربية أبنائك وبناتك، فإذا كانت هذه المرأة سالحة، أعانتك على تربية أبنائك وذريتك تربيةً سالحة، وإن كانت على غير ذلك سيكون الحال هي التي تحتاج منك إلى جهد، وإلى تربية، وإلى إصلاح، لأن فاقده الشيء لا يُعطيه، إذا كانت هي مُعوجة كيف تنتظر منها أن تُربي أبنائك وبناتك التربية المستقيمة، التربية السالحة، ويقول - عليه الصلاة والسلام - كما في صحيح مسلم:

«إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ».

من هي هذه السالحة؟، قال الله - جل وعلا -:

﴿النساء: ٣٤﴾ هذه صفة الزوجات السالحات؛ سالحة في نفسها، مستقيمة على دين ربها - جل وعلا -، قانتة يعني مطيعة لله - جل وعلا -، وقانتة يعني مطيعة لزوجها في غير معصية الله، هذه من أسباب السعادة الأسرية، أن تكون الزوجة مطيعة لزوجها في غير معصية الله - تبارك وتعالى -، إذا

أمرها أطاعته، وإذا نظر إليها سرّته، وإذا غاب عنها حفظته، ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ النساء:

٣٤ ، تحفظه في فرجها، تحفظه في ماله، تحفظه في بيته، تحفظه في أولاده، هذه من أبرز وأهم مواصفات المرأة الصالحة.

فإذا يحرص المقبل على الزواج أن يُحسن الاختيار، ليس معنى الحديث: «فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» ألا تبحث عن الجمال، أو ألا تبحث عن المال، أو ألا تبحث عن الحسب، ليس هذا معنى الحديث، وإنما المقصود أنك لو كان أمامك مثلاً خياران اثنان؛ امرأة جميلة ولكنها فاسقة، وامرأة صالحة ولكن دون تلك في الجمال، فلا تُغلب الجمال على الدين، فاسأل عن المرأة، إن والله تبين لك أنها امرأة جميلة، والمواصفات التي ترغبها موجودة فيها، اسأل عن دينها، فإن كانت صاحبة دين فاستعن بالله وأقدم، وإن كان عندها جمال، وعندها مال، وعندها حسب، لكنها فقيرة في باب الدين فتركها؛ لا خير لك فيها، فهذا من أهم ومن أعظم ومن أوّل الأسباب التي تُعين - بإذن الله عز وجل - على صلاح الذرية.

كذلك أيضًا بالمقابل حُسن اختيار الزوج، المرأة يتقدّم لها خطّاب، فعلى أي أساس يكون الاختيار؟

يُروى عنه -صلى الله عليه وسلم - أنه يقول: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ» فيختار الولي لموليته، لابنته، لأخته، لمن تحت يده، يختار لها الكفء، يختار لها الشخص المناسب، ليس المهم في هذا المتقدّم أن يكون صاحب منصب، ولا صاحب جاه، ولا صاحب مال، لا، المهم

أن يكون رجلاً يخاف الله - سبحانه وتعالى -، يخاف الله فيها، يُكرِّمها، إن أحبَّها أكرمها، وإن لم يُحبَّها لم يظلمها، يُعاشرها بالمعروف، فإن لم تُمكن المُعاشرة بالمعروف، سرَّحها بإحسان.

فالأساس الأول في هذا الباب هو حسن اختيار المرأة، وحسن اختيار الزوج، وإذا كان الأب صالحاً، والأم صالحة، إن شاء الله يتعاونان ويجتهدان في إصلاح ذريتهما.

● كذلك أيضاً من الأسباب المُعينة على صلاح الأبناء أن يُطبَّق الرجل ما أرشد إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين: «**بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قَدَّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ**»، ماذا قال - عليه الصلاة والسلام -؟ قال: «**لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**».

فإذا ذكرُّ الله - عزَّ وجلَّ - مُبارَك، اسم الله - عز وجل - مُبارَك، ومن آثاره إذا قال الرجل هذا قبل أن يغشى أهله وأن يأتي أهله، فقدَّر حمل في ذلك الغشيان والإتيان، أن الله - عز وجل - يحفظه بإذن الله - جل وعلا - من الشيطان، وإذا خرج هذا الولد إلى الدنيا، ذكراً كان أو أنثى، فتعامل معه بوفق الآداب الشرعية، والسنن المرعية التي جاءت عنه - صلى الله عليه وسلم -، من ذلك أن تُحسِّن اختيار اسمه، الاسم له تأثير على صاحبه، كذلك أيضاً تعقُّ عنه، «**كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ**» فذبح العقيقة عن الابن عن البنت هذا من أسباب حصول البركة فيهم - بإذن الله -، ومن أسباب وقايتهم من الشيطان.

كذلك أيضًا تَعَاهِدُهُم بالتربية، وهم لا يزالون في الصَّغر حسب الاستطاعة وحسب الطاقة، وحسب ما تَبْلُغُ إليه أفهامُهُم شيئًا فشيئًا، جلس طفل مع النبي -صلى الله عليه وسلم- على المائدة، وهو عُمر بن أبي سلمة، صبي صغير، فكانت يده تطيش في الصفحة يمين وشمال، فلم يتركه النبي -عليه الصلاة والسلام- هكذا، لا، وإنما وَجَّهَهُ وأرشدَهُ، قال: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلِّ بِيَمِينِكَ، وَكُلِّ بِمِائِلِكَ»، علَّمَهُ -عليه الصلاة والسلام-، هذه الآداب القولية والعملية: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلِّ بِيَمِينِكَ، وَكُلِّ بِمِائِلِكَ»، كلمات معدودة، في وقتها المناسب، يستوعبها هذا الطفل، ويمشي عليها في مُستقبل حياته.

هكذا أيضًا قال -عليه الصلاة والسلام- في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» رواه أبو داود وغيره.

مُرُّوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لسبع، إذا صار عُمره سبع سنين مُرَّهُ بِالصَّلَاةِ، حُثَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَطَبَعًا قَبْلَ مَا تُقَلُّ لَهُ صَلَّ عَلَّمَهُ؛ عَلَّمَهُ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ، كَيْفَ يَتَطَهَّرُ، كَيْفَ يُصَلِّي، تَوَضَّأَ أَمَامَهُ، وَخَلِيهِ يَتَوَضَّأُ، يُقَلِّدُكَ فِي الْوُضُوءِ، شَجَّعَهُ وَخَلِيهِ يَتَوَضَّأُ أَمَامَكَ، وَإِذَا أَحْسَنَ قُلُّ لَهُ أَحْسَنَتْ، وَإِذَا أَخْطَأَ قُلُّ لَهُ لَا خَطَأَ، وَخَلِيهِ يُجَاوِلُ يُعَدِّلُ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى الصَّوَابِ بِنَفْسِهِ، وَشَجَّعَهُ عَلَى هَذَا، يَفْرَحُ الْوَلَدُ، وَتَفْرَحُ الْوَلَدَةُ الصَّغِيرَةُ إِذَا وَجَدَتْ هَذِهِ الرَّعَايَةَ، وَهَذِهِ الْعَنَايَةَ، وَهَذَا التَّشْجِيعَ، ثُمَّ عَلَّمَهُ

كيف يُصَلِّي، كيف يقرأ الفاتحة، سورة بعدها، ماذا يقول في الرُّكُوع، ماذا يقول في السجود، شيئاً فشيئاً، «مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ» في هذه السن الصغيرة، هو لا يزال غَضًّا طريًّا، لم؟، حتى إذا كبر ونشأ، هو الآن ما مُكَلَّف، لم يبلغ سن التكليف، ما جري عليه القلم، ولكن هذا من باب التعويد.

إِنْ الْعَصُونَ إِذَا عَرَّلَتْهَا اعْتَدِلَتْ *** وَلَا تَلِينَ إِذَا مَا عَرَّلَتْهَا الْحَشْبُ

فمادام أنه صغير، وغَضٌّ، وطريٌّ، وقابل للتوجيه، ومثل العجين التي تُشكَّل، فاحرص عليه في هذه السن.

طَيَّب ثم قال «وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ»، هل إذا بلغ عشر صار مُكَلَّفًا؟، لا ما هو مُكَلَّف، التكليف باقٍ ما جاء، ولكن كونه ثلاث سنوات وهو يُؤمر ويُحث عليها، ويُشجَّع عليها، وبعدين يُفَرِّط فيها إذا صار عمره عشر سنوات، إذاً، هذا عنده اعوجاج، يحتاج إلى إمساسه بشيء من الألم، حتى يعود إليها، ويستشعر فعلاً أهميتها.

وهل معنى قوله: «وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ»، أنه ما في علاج إلا الضرب؟ لا، ما هو شرط، ولكن يعني إذا لم يصلح إلا بالضرب اضربه، ما يمنع أنك تؤنِّبه، أنك تحرِّمه من أشياء يُحِبُّهَا عُقُوبَةً له، إذا شفت أن هذه الأشياء ما تنفع، وما أجدت معه، وأنه لا بُد أن يُمسَّ بشيء من الأذى، فاضربه، ولكن ما هو هذا الضرب؟، ضرب يُقصد به تأديبه، وتخويفه، لا ضرب تعذيب، يجرَح جلد، وإلا يكسر عظم، وإلا ضرب في الوجه، أو نحو ذلك، لا.

فالضرب أسلوب شرعي في الأدب، ولكن يكون بمقدار، ويكون في حدود الشرع،
«وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ».

ثم قال - عليه الصلاة والسلام - : «وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»، وقاية لهم من أسباب الفتنة، ما
ينام الولد مع الولد في فراش واحد، ولا تنام البنت مع البنت في فراش واحد، ولا ينام الولد مع
البنت ولو كانت أخته في فراش واحد، ولو كانوا في هذه السن، خشية عليهم من ذهاب الحياء،
ومن دُخُول الشيطان، وتزيينه لهم، فهذا من أسباب وقايتهم من خطوات الشيطان، فيُعَلَّمُونَ
ويُرَبُّونَ على الأدب، وعلى الحياء، وعلى الحشمة، وعلى البُعد عن كشف العورات، حتى يكْبُرُوا
وهم على هيئة هذا الأمر، وتوقيره، والبُعد عنه، واجتنابه.

كذلك أيضًا من الأمور المطلوبة من الآباء والأمهات تجاه أبنائهم تعَاهُدُهُم بالتعليم، ولا سيما
تعليمهم العقيدة الصحيحة، ومن أمثلة ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مُرَدِّفًا ابن
عباس، ابن عمّه، هو غُلام صغير، فقال له: «يَا غُلامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ»، يعني فاحفظها وافهمها،
وسِر عليها، ما هي هذه الكلمات؟ قال: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، إلى آخر
الحديث المعروف المشهور.

والشاهد منه المقصود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - علّم هذا الغُلام كَلِمَاتٍ وَجُمَلًا عظيمة،
تتعلّق بالتوحيد، تتعلّق بالعقيدة، تتعلّق بالإيمان بالله - جل وعلا -، فعلى الآباء وعلى الأمهات أن
يعتنوا بأبنائهم وبناتهم في هذا الجانب، وأن يُعَلِّمُوهُمْ إن كانوا أهلًا للتعليم، إذا كان عندهم علم

يُعَلِّمُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وإذا لم يكن عندهم علم، فعليهم أن يستعينوا بأهل العلم، حتى يُعَلِّمُوا أَبْنَاءَهُمْ، فيختارون لهم المربين الصالحين، يختارون لهم المدرسة الطيبة الصالحة، التي فيها معلمون ومعلمات مؤتمنون على الأبناء وعلى البنات، يُربونهم ويُعَلِّمُونَهُم العقيدة الصحيحة.

كذلك أيضًا نجد النبي - صلى الله عليه وسلم - يُعَلِّمُ الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، يُعَلِّمُهُ ماذا يقول في قُنُوتِ الوتر، وقد حفظ من النبي - صلى الله عليه وسلم - دُعاء الوتر؛ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»، إلى آخر هذا الدُعاء المبارك، علِّمه النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو طفل صغير، سنوات معدودات من عمره، فلَقَّنه هذا الدُعاء، فعلى الآباء وعلى الأمهات أن يُعَلِّمُوا أَبْنَاءَهُمْ وبناتهم ما يتيسر لهم حفظه، وإدراكه من أمر الدين.

إذا كان هذا الابن ذكرًا فيصطحبه أبوه معه إلى المسجد، حتى يتعوّد على الجماعة، ولكن أيضًا يُرَبِّيه على احترام المسجد، يُعَلِّمه أنه لا بُدَّ يَحْتَرِمَ المسجد، لا يركُض فيه، لا يجري فيه، لا يرفع فيه صوته، لا يعبث بمقتنيات المسجد، الطفل يحتاج إلى تعليم، وإلا ما يعرف، الحياة عنده كلها لعب وهو، فيُعَلِّم، يحكي عمره سبع سنوات، ثماني سنوات، ويُصَلِّي السنة، ويجلس يذكر الله، وإلا يقرأ، حتى تُقام الصلاة، فيقف في الصف، ويسد الفرج، ويُصَلِّي مع الجماعة، هذا كُلُّه يحتاج إلى تعليم وإلى توجيه.

البت تُعلِّمُها أمُّها، تُربِّيها على الحجاب، تُربِّيها على الصلاة في البيت إذا سمعت النداء، تتَّخذ لها مُصلًى في البيت، هذا مكان للصلاة، فتُصلِّي فيه، وتُتابعها في صلاتها، فهذه من التربية الطيبة، وإذا صلَّح أمر الصلاة، صلَّح - إن شاء الله - ما بعدها من الأمور، فإن الله - عز وجل - يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥، وإذا صلَّحت الصلاة، صلَّح ما بعدها، وإذا فسد أمر الصلاة، فسد ما بعدها، فيتعاهد الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم على إقام الصلاة، كما أمر الله - جل وعلا -، وقد قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه: ١٣٢، فأمره - سبحانه وتعالى -؛ أمر نبيه - عليه الصلاة والسلام - أن يُصلِّي، وأمره أن يأمر أهله أيضًا بأن يُصلُّوا، وقال - سبحانه وتعالى - عن عبده ورسوله إسماعيل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ مريم: ٥٤ - ٥٥.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، فإذا على الآباء على الأمهات أن يقتدوا بأنبياء الله ورُسُلِهِ، ولا سيما محمدًا - صلى الله عليه وسلم -، أن يقتدوا بهم في حرصهم هم على الصلاة، وفي حرصهم على أبنائهم وبناتهم أن يُقيموا الصلاة، كما أمر الله، وكما شرع الله.

وهنا أيضًا تنبيه على أنه من أسباب صلاح الأبناء والبنات، أن يكون الأبوان قُدوتين صالحتين لأبنائهم وبناتهم، فكونك أنت مُسارِعًا للخير، ومُبادِرًا إليه، وكون الأم أيضًا صاحبة طاعة، وصاحبة حجاب، وصاحبة حشمة وحياء، وتخاف من الله - عز وجل -، وبناتها وأبنائها يرونها

كذلك، والأبناء والبنات يَرون أباهم كذلك، على خير، وعلى تقوى، وعلى صلاح، وعلى مُراقبة لله، هذا مما يُعينهم - بإذن الله - على الاستقامة، وعلى الهدى، وعلى الخير، أما إذا كان الأب يأمر بالخير ولا يفعله، الأم تأمر بالخير ولا تفعله، هذا من أسباب عدم الانتفاع بتوجيههم، وبتربيتهم، وبتعليمهم، ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٤٤ ، هذا غلط ما يصلح، ليس قضية الغلط أنك ما تنصح إلا إذا كنت أنت على استقامة كاملة!

لا، ولكن المقصود أنك حينما تنصح، وتوجه، وأنت لا تطبق ما تدعو إليه، تكون نصيحتك لا قيمة لها، ولا طعم لها، ولا تأثير لها، ولا قبول لها، مع أنه يجب على المسلم على المسلمة الدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو كان هو مُقَصِّرًا، فكونك أنت مُقَصِّرًا هذا ما يُعْفيك من التوجيه للخير إذا تهيأ سببه، ولكن عليك أن تتذكر أنك مهما دعوت، ومهما علّمت وأرشدت، وأنت سيرتُك العملية على خلاف ما تدعو إليه، أن كلمتك هذه ليس لها قبول، ولا تأثير إلا أن يشاء الله.

يا أيُّها الرجل المُعلِّم غيره ﴿﴾ هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ.

فإذا صلاح الأب صلاح الأم من أسباب صلاح الأبناء والبنات، قال الله - عز وجل - في قصة موسى والجدار الذي وجده، وكان يُريد أن ينقض فأقامه الخضر، ماذا قال الخضر لما شرَح لموسى سبب إقامة هذا الجدار، في تلك القرية التي لم يقوموا بحق الضيافة، لأن موسى والخضر - دخلا قرية، فاستضافا أهل هذه القرية فأبوا أن يُضيّفوهما، وفي هذه الأثناء رأى الخضر جدارًا مائلًا يُريدُ

أن ينقض، يُريد أن يسقط، فمسح بيده مسحة على هذا الجدار، فقام، واستوى ثابتاً ورأسخاً، فلامه، لامه موسى، كيف يعني تحسن إلى أهل هذه القرية، وهم أساءوا الاستقبال، وما أحسنوا الضيافة، فشرح له أن ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ الكهف: ٨٢ ، فحفظ الله هذا الكنز للولدين اليتيمين بأي سبب؟

لصالح الأب، فصالح الأب - بإذن الله - أن فيه صلاحاً للأولاد، صلاحاً للذرية، وإذا كان الأب صالحاً، والأم سالحة، ففي الغالب أن الله - عز وجل - ما يضيع دعاءهم، وإذا كان الأبوان صالحين، فهم سيدعون لأبنائهم وبناتهم بالهداية وبالصلاح، وبالاستقامة، وبالخير، - إن شاء الله -، وحرري أن يتقبل الله منهم دعاءهم، ويريمهم في أبنائهم وبناتهم ما تقر به أعينهم.

● كذلك أيضاً، من الوسائل المهمة في إصلاح الأبناء والبنات، حمايتهم من الفتن، حمايتهم ووقايتهم من الفتن بنوعها؛ فتنة الشهوات وفتنة الشبهات، حمايتهم ووقايتهم من الفتنتين.

■ **الفتنة الأولى؛ فتنة الشهوات:** وهي المعاصي التي حرّمها الله - عز وجل - علينا، والنفوس تميل إليها، النفوس الأمارة بالسوء تميل إليها، مثل: شرب الخمر، والمخدرات، ومثل الزنا ومقدماته - والعياذ بالله -، ومثل أكل المال بغير حق، ومثل التبرج والسفور في النساء، والخلوة

بالأجنبيات، وغير ذلك من أنواع المعاصي، سماع الأغاني والمعارف والطرب، كل هذه تدخل في فتنة الشهوات، فكل معصية حرمها الله - جل وعلا - فهي داخله في فتنة الشهوات،

فالواجب على الآباء وعلى الأمهات، وقاية أبنائهم وبناتهم بما حرم الله - عز وجل - عليهم، لأن

الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ التحريم: ٦ ، فقط؟، لا، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ ما صفتها؟ قال - سبحانه -: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ

اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: ٦ .

فإذا وقايتك لأبنائك، وبناتك، لأهلك من النار، يعني تقيهم من الطُّرق، والأسباب التي تؤدي

بهم إلى النار، والنار محفوفة بالشهوات، حُفَّت النار بالشهوات، لأن النار أين مكائنها؟

النار في أسفل سافلين، فالذهاب إليها عبارة عن سُقوط وسُفور فهو سهل، ولهذا كان طريقها

الشهوات، والنفس تميل للشهوة، فإذا أطاعتها وتبعتها هوت بها، وزلت بها إلى نار جهنم - والعياذ

بالله - أما الجنة فهي في أعلى عليين صعود، والصُّعود فيه كلفة، وفيه مشقة، ولكنه يسير على من

يسره الله - عز وجل - عليه، فالتزم بالإيمان وبالعمل الصالح.

فإذا على الآباء، وعلى الأمهات، على أولياء الأمور أن يُجَنِّبُوا أبناءهم وبناتهم أسباب الفساد،

وأسباب الشرور قدر الاستطاعة، ومن ذلك تعليمهم بالحلال والحرام، يُعَلِّم الأب، يُعَلِّم الأم،

ابنه، ابنته، بأن هذا الشيء حرام، وتُنَمِّي في قلبه مراقبة الله - جل وعلا -، تذكِّره وتربِّيه على أن الله

مُطَّلِع عليه، ما تخوُّفه إنك إذا سويت أنا بضربك، ما عليه، هذا أسلوب قد ينفع، ولكن أيضًا مع

ذلك، وقبل ذلك، وبعد ذلك، تُذكره بأن الله مَطَّلَعٌ عليه، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩)

غافر: ١٩، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الأنعام: ٧٣).

﴿إِذَا مَا خَلَدْتَ الرَّهْرِيومًا فَلَا تَقُلْ﴾ خلدت ولكن قل علي رقيب

فُتِنَمِي فيه هذا الشعور، وهذا الإحساس، وهذا الواعظ في قلبه، أن الله - عز وجل - مُطَّلَعٌ عليه، قد يُخَادِعُ أباه، قد يُخَادِعُ أمه، قد يُخَادِعُ الرَّقِيبَ من النَّاسِ، ولكنه لا يستطيع أن يُخَادِعَ الله - جل وعلا -.

فإِذَا تُعَلِّمُهُمْ أَنَّ هذا الشيء حرام حتى يَحْتَنِبُوهُ، قد يقع فيه في البدايات بسبب الجهل، ما يدري أن هذا الشيء حرام، فتُعَلِّمُهُ، وتُنَبِّهُهُ، وإذا الله - عز وجل - منَّ عليك بِعِلْمٍ أَكْثَرَ، تتلوا عليه الآيات، تقرأ عليه الأحاديث، تُبَيِّنُ له كلام العلماء في هذه الأمور، حتى ينشأ على البُعد عنها، وعلى اجتنابها. كذلك أيضًا من الأسباب النافعة تُذَكِّرُهُ، وتُبَصِّرُهُ، وتُبَيِّنُ له آثار هذه المعاصي، الله - عز وجل - ما حَرَّمَها علينا إلا لأضرارها، أضرار في الدُّنيا، أضرار في البدن، أضرار في القلب، أضرار في الرزق، أضرار في الصَّدر وانشراحه، فالمعصية ظُلْمة في الوجه، والمعصية ضيق في الصدر، والمعصية ظُلْمة في القلب، والمعصية محق للرزق والبركة فيه، والمعصية ذُل وهوان في الدنيا، والمعصية عذاب في القبر، والمعصية فضيحة يوم القيامة، والمعصية من أسباب دخول النار، تُذَكِّرُهُ بهذه الآثار، وهذه الثمرات المَرَّة التي تترتب على المعاصي، لا خير في لذة من بعدها النار، يعني تشتري عذاب الدُّنيا، وعذاب القبر، وعذاب الآخرة بمتعة؟!!

بمُتعة دقائق، وإلا ثوانٍ، وإلا سُويعات زائلة، تذهب لذَّتها، وتبقى تبعاتُها، فتذكِّره بهذه المعاني، وجعلها حاضرة في قلبه، وبين عينيه، هذا - بإذن الله - مما يُعينه على ترك ما حرَّم الله - عز وجل - عليه، وتذكُّره أيضًا أنه إذا شعر بالرغبة والميل إلى المعصية، أن يتحصَّن بالله - جل وعلا - كما قال - سبحانه -: ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦) فصلت: ٣٦ ، ﴿إِنَّ

الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٣٠) الأعراف: ٢٠١ ،

فالشيطان يُلم بالقلب، ويستغل الغفلة، ويُزيِّن للعبد المعصية، حتى لو كان على خير وعلى صلاح، ولكن سرعان ما يفيق العبد الصالح، ويُراجع نفسه، ويَتُوب ويُنِيب إلى الله - جل وعلا - ، ويستعيذ بالله من همزات الشيطان، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ المؤمنون: ٩٧ - ٩٨ ، فيستعيذ بالله، ويلتجئ إلى الله، ويتحصَّن بالله - جلَّ وعلا - .

وقد ضرب يحيى بن زكريا مثلاً برجل طارده العدو، طارده عدُوّه، فلجأ إلى حصن حصين، سد منيع تحصَّن به من عدُوّه، فذلك مثل الشيطان وذكر الله - جل وعلا - ، فالعدو هو الشيطان ، والحصن المنيع ذكرُ الله - تبارك وتعالى - ، إذا التجأت إلى الله، أَلْجَأَكَ اللهُ، وإذا استعذت بالله، أعَاذَكَ اللهُ، وإذا استغثت بالله، أغَاثَكَ اللهُ - جل وعلا - ، فأنت يا عبد الله ضعيف، يقول - سبحانه - وتعالى -: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨) النساء: ٢٨ ، ضعيف أمام شهوته، أمام المعصية، شهوة الفرج، شهوة البطن، شهوة المال، شهوة النظر، شهوة السَّماع للمحرَّم، الإنسان ضعيف أمامها إلا إن

عصمهُ الله ومنّ الله - عز وجل - عليه بالثبات، فعليك أن تستعِذ بالله، وأن تلجأ إليه - سبحانه -، حتى يعصمَكَ، وحتى يحفظَكَ من شرّ الشيطان، ومن نزغات الشيطان.

وكذلك أيضًا من أسباب حمايتهم ووقايتهم؛ منعهم قدر الاستطاعة من الوسائل التي تفتح عليهم باب الشرور، حمايتهم قدر الاستطاعة من الوسائل التي تفتح عليهم باب الشرور، ونحن الآن نشوف هذه الأجهزة، أجهزة الاتصالات الحديثة، وما فيها من الشرور الكثيرة، سواء من قنوات فضائية، أو من أجهزة اتصالات، تُطلِّعُه على مافي المشرق والمغرب، من الصور الثابتة والمتحرّكة، وأنواع المعارف، وغيرها من الشهوات المُحرّمة، وما يسرته أيضًا من التواصل بين الناس في المشرق والمغرب، فعلى الآباء وعلى الأمهات، أن يكونوا حازمين قدر الاستطاعة في هذا الجانب، وأن يُحاولوا أن يُجنّبوا أبناءهم الصغار، وبناتهم الصغيرات هذه الأجهزة، فإن غلبوا إلا أن يُعطوا أولادهم شيئًا من ذلك، فليُحاولوا أن يكونوا على مُتَابعة دائمة، ومراقبة دائمة قدر الاستطاعة، وتوجيه مستمر، هذا الولد، هذه البنت، ما يُقدّر العواقب، فيتواصل مع أشخاص ذُكُورًا أو إناثًا قد يُهلكوه، يدخل إلى مواقع إباحية أو غيرها فتُهْلِكُه، وتمسخ أخلاقه - والعياذُ بالله - فكن على حرص، كن على حذر.

■ **والفتنة الأخرى؛ فتنة الشُّبهات:** وهي الانحرافات التي تكون في العقيدة، الله - عز وجل - جعل لنا صراطًا مستقيمًا، هذا الصراط المستقيم هو الموصِل إلى الجنة، وهو الموصِل إلى رضا الله - جل وعلا -، ما في طريق ثانٍ غير هذا الصراط يُوصِلُك إلى رضا الله، وإلى جناته، جنات النعيم قال

—سبحانه—: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ

بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ الأنعام: ١٥٣ ، ما هو هذا السبيل ، ما هو هذا الصراط ؟

هو كتابُ الله - جل وعلا - ، وهو سُنَّة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وهو ما كان عليه السلف الصالح من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، وفي حديث الافتراق، رواه عدد من الصحابة، مرويٌّ عن خمسة عشر صحابياً تقريباً، «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»، قال—عليه الصلاة والسلام—: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً»، ولما سُئِلَ: من هي يا رسول الله؟، قَالَ: «الْجَمَاعَةُ».

يعني الذين اجتمعوا على الحق، ولم يتفرَّقوا فيه، وهذا وصف أصحاب محمد—صلى الله عليه وسلم—، وفي الرواية الأخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال—عليه الصلاة والسلام—: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، هذه هي الفرقة الناجية، التي نجت من الهلاك، من كان على مثل ما كان عليه محمد—صلى الله عليه وسلم— وأصحابه.

فإذا الهداية والاستقامة هي في لزوم ما كان عليه محمد—صلى الله عليه وسلم—، وما كان عليه أصحابه، والتابعون لهم بإحسان، وإذا نظرنا في كتاب الله—عز وجل—، نجد أن الله أثنى على الصحابة بالإطلاق؛ مهاجرين وأنصار، ولم يثنِ على من بعدهم إلا بشرط، ما هو هذا الشرط؟ المتابعة لأولئك السابقين بإحسان، أن يُحْسِنَ في اتِّبَاعِهِمْ، والاقْتِدَاءُ بِهِمْ،

﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَى مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾ التوبة: ١٠٠ ، هكذا أثنى عليهم

مطلقاً، لكن الذين اتبعوهم ما قال عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ التوبة:

١٠٠، فما يرضى الله - عز وجل - عمن جاء بعدهم، إلا إذا أحسن في اتباعهم، وقال - سبحانه

وتعالى - : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ البقرة: ١٣٧، فإذا من كان على طريقة مخالفة لما كان

عليه الصحابة، فإنه لم يهتد، وإنما هو من أهل الضلال - والعياذ بالله -.

نحن في زمن فيه كثير من التفرُّق في الدين، والاختلاف في الدين، والانحراف عن الجادة، وكثرة السُّبُل التي على كل سبيلٍ منها شيطان، يدعو من أجابه إليها إلى النار - والعياذ بالله -.

فعلينا أن نكون في غاية الحذر، إذا كانت هذه الانحرافات وُجدت في الزمن الأول، ظهر الخوارج في زمن الصحابة، وفعلوا ما فعلوا حتى قتلوا عثمان، ثم قتلوا علياً - رضي الله عن الجميع -، عن عليٍّ وعثمان، وقتلهم الصحابة في النهروان مع علي، فأقول إذا وُجد الخوارج في ذاك الزمن، فما الذي يبعد أن يُوجدوا في هذا الزمن؟!

ونحن بيننا وبين النبي - عليه الصلاة والسلام - خمسة عشر قرن، وكلُّما تباعد الزمن عن زمن النبوة كُلَّما كثرت الفتن، كثرت الانحرافات والاختلافات في الدين، كما قال - صلى الله عليه وسلم - في حديث العرباض بن سارية عند أبي داود: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، إذا كان الرسول يقول للصحابة الذين أدركوه، يقول لهم: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا، طيب فما حال من عاش ووُجد بعد النبي -عليه الصلاة والسلام- بألف وأربعمائة سنة؟! سنة؟!

فإذا الضلالات والانحرافات عن الصِّراطِ كثيرة، فعليك يا عبد الله أن تبحث عن طريق السلامة، ما هي طريق السلامة؟، تتعلَّم كتاب الله، وتتعلَّم سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخذ علم الكتاب والسُّنة عن أهله، قال الله - عز وجل - : ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، أهل الذكر أهل العلم، أهل الرُّسوخ في الاعتقاد، في علم السنة، في علم الحديث، في علم العقيدة السلفية، ارجع إليهم، تعلَّم على أيديهم، واصبر عن فتاويهم، فهذا - بإذن الله - من أسباب السلامة، والعصمة، والنجاة من الهلكة في الدين.

في هذا الزمن بالذات ابتلينا ببعض الفرق الضَّالة، فرقة تُشكِّك - بالذات الشباب - تُشكِّكهم في أصل الدين، تُزيِّن لهم الإلحاد، وتُشكِّكهم في وجود الله أصلاً - والعياذ بالله - وهم ينشطون في هذا الزمن، خلايا سرية وإلا عن طريق بعض المواقع في الإنترنت، فإذا دخلها الشاب وقرأ ما فيها من الشُّبهات ربما شكَّكه في دينه، دخل إلى هذا الموقع مُؤمناً، فما خرج منه إلا كافرًا - والعياذ بالله -، السلف يقولون: " الشُّبه خطَافة والقلوب ضعيفة".

فلا تُغامر أيَّها الشاب أو حتى غير الشاب، لا تُغامر بدينك، لا تُغامر بنفسك، لا تقل والله أنا واثق من نفسي، لا، الشيطان يأتيك من باب الغرور والعُجب والثقة، كما يُقال بالنَّفس، هذا غرور وعُجب منه، فابتعد عن هذه المواقع، وعن هؤلاء الأشخاص الذين يُشكِّكونك في دينك.

كذلك أيضًا ابتلينا بمن يُشكك الناس في توحيد الألوهية، كيف؟، يُزَيِّن لهم عبادة غير الله -جلّ وعلا-، يُزَيِّن لهم الاستغاثة بأصحاب القبور، يُزَيِّن لهم الغلو في الأولياء والصالحين، الغلو في أهل البيت؛ بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيُزين دعاءهم، والاستغاثة بهم، واللجوء إليهم، والبناء على قبورهم، والنذر لهم بدعوى التَّوسُّل، وبدعوى التعظيم؛ تعظيم الصَّالحين، وتوقير الصَّالحين، وبدعوى محبة الصَّالحين، يُنفِّرُهُم من عقيدة السلف الصَّالح في توحيد العبادة، ويُسمِّيها وهَّابية، ويُسمِّيها ما يُسمِّيها من الأسماء المنفَّرة، حتى لا يكون الدين خالصًا لله -جلّ وعلا-، والله - سبحانه وتعالى- قد أمر في كتابه ألا يُعبد إلا هو، أول سورة في القرآن نقرأها في كل ركعة، ماذا فيها؟ فيها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، يعني لا نعبد أحدًا غيرك، ولا نستعين بأحدٍ غيرك، فالقرآن كله يهدم هذا الباطل، لكن إذا قلَّ العلم وقلَّت البصيرة ربما تنطلي هذه الشبهات على كثير من المسلمين، فتجده يقول لا إله إلا الله، التي تدل على أنه لا يُعبد إلا الله، ومع ذلك تجده في واقعه يُوجِّه العبادة ويصرِّفها لغير الله - تبارك وتعالى-.

ابتلينا بفرق تحريف الشباب عن دينهم الذي يدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح وترك المنكرات، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن العمل من الإيمان، فالصَّلاة إيمان، والزكاة إيمان، والصوم إيمان، والحج إيمان، وترك المنكرات لله - تبارك وتعالى - إيمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كُلُّ ذلك إيمان، لكن وُجدت فرقة أو فرقة وتفرَّعت إلى فروع تزعم أن هذه الأعمال ليست من الإيمان في شيء، الإيمان أن تُصدِّق بقلبك، تؤمن بقلبك فقط، فإذا وُجد الإيمان على قولهم في

القلب، ما يُضْرَك ما تركتَ من طاعة أو فعلتَ من معصية، إذا وُجدَ الإيمان في القلب، والتصديق بالله في القلب، فإيمانك مثل إيمان جبريل، وميكائيل، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - ولو فعلت ما فعلتَ من المنكرات، ولا شك أن هذه عقيدة فاسدة، تُجرى أهلها وأتباعها على التحلل من الدين - والعياذ بالله - من انطلت عليه هذه الغواية، وهذه الضلالة، يُوشك أن لا يُصلي، ولا يُزكي، ولا يصوم، ولا يُحج، ولا يُقلع عن معصية، لم؟

قال لك: لأنَّ الإيمان في القلب، وهذه الأشياء كلها لا تُقدَّم ولا تُؤخَّر، وهذا ضلال عظيم، فعلى المسلم أن يلتزم بعقيدة السلف، التي قرَّرت - كما جاء في الكتاب وفي السنة - أن العمل من الإيمان. الإيمان عند أهل السنة والجماعة: "إقرار باللسان، وقبل ذلك تصديق بالقلب، تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح"، فهذا الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

ابتُلينا أيضًا بفرق، وجماعات، وأحزاب، تُقرِّر تكفير المسلمين بغير حق، تكفير المسلم الموحِّد بغير حق، يُكفِّرون مثلاً بالكبائر، أو ببعض الكبائر، منهم من يحكِّم على المسلمين شعوبًا وحكومات في هذا العصر بالكُفر بشكل عام، ما فيه دولة إسلامية ولا فيه شعب مُسلم، لا في المشارق ولا في المغارب.

وابتُلينا بفرق تدعو الشعوب إلى الثورات وإلى الخروج على الحكام وإلى نقض البيعة، وهذا دين الخوارج الأولى، النبي - عليه الصلاة والسلام - صحَّ عنه الحديث في الخوارج، حذَّر من الخوارج، من هم الخوارج؟.

الخوارج: الذين يخرجون على جماعة المسلمين، مسلمون في بلد، في إقليم، عندهم حاكم يسمعون له ويُطيعون وأمورهم مستقرّة والحمد لله، فيزيّنون لهم الخروج على هذا الحاكم، هذا الحاكم كافر، يجب عليكم أن تخرجوا عليه، فيؤلّبون الشعب، يؤلّبون بعض الرعيّة، بعض الشباب، على ولاية أمورهم، حتى يخلعوا بيعته، ويخرجوا عليه بقوة السلاح، وتحدث الفتنة في هذا البلد، بعد ما كان أمنًا مطمئنًا، فيكون بأسهم بينهم، وسلاحهم موجه إلى نحورهم، وتشتعل فيهم نار الفتن والفوضى، ولا يجنون من وراء ذلك إلا الندامة، وإلا الحسرة، ولا يخرجون من هذه المعارك إلا بخسارة، لا أول لها ولا آخر - والعيذ بالله - يخسرون الأمن، يخسرون الأعراس، يخسرون الأموال، يخسرون الأنفس، ويخسرون أيضًا الدين - أعاذنا الله وإياكم -.

فعقيدة السلف فيها بحمد الله؛ فيها الأمن، فيها الاجتماع، وفيها الطمأنينة، وفيها الخير العاجل والآجل، والانحراف عنها يؤلّد ما ترون من الفتن التي نعيشها في هذا العصر، هذي وسائل الإعلام تعرّض عليكم كل يوم وليلة، تعرّض عليكم بعض آثار عدم مراعاة الشريعة، في تعامل المحكوم مع الحاكم، حتى لو قدر أن هذا الحاكم كافر، ولكن ما تيسّرت، ولا تهيّأت، ولا توفّرت آلة الخروج، وشروط الخروج عليه، كان مصير ذلك إلى خسارة ووبال عظيم وشر عظيم يعود على المسلمين، فهذه الأمور ما تؤخذ بالحماس، وإنما المرجع فيها أهل العلم، المرجع فيها العلماء الراسخون، هم الذين يوضحون، ويبيّنون للناس، ويفتّون للناس في هذه الأمور، فإذا ترك الناس العلماء الراسخين الناصحين، تولاّهم من؟

تولّاهم أناس يزيّون بزيّ العلم، ويلبّسون لباس أهل العلم، لكنهم ليسوا من العلم في شيء، ملبّسون على الناس، دُعاة فتنة، ودُعاة ضلالة، ودُعاة شر، ودُعاة إحراق للأخضر واليابس، يزيّنون للناس الخُرُوج، ويزيّنون للناس الثورات، ويزيّنون للناس حمل السلاح، ويزيّنون للناس الدُّخول في مُواجهات ليسوا لها بأهل، وإذا اشتعلت النار، وشعروا بالخرج، ما استطاعوا أن يُطفئوها، لم يستطيعوا أن يُطفئوها، خرجت عن أيديهم.

فعلينا أن نتقي الله- سبحانه وتعالى- في أنفسنا، في شعوبنا، في دولنا الإسلامية، ونُحافظ عليها، أعداء الإسلام لا يقرُّ لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال، إلا إذا جعلوا بأس المسلمين فيما بينهم، وجعلوا صراعاتهم فيما بينهم، والحُرُوب فيما بينهم، وخرَّبوا ديارهم وبلادهم، ولكن يحِرِّصون على أن يكون هذا التخریب، بأيدي أبناء المسلمين أنفسهم، فعلينا أن نتنبه لهذه الفتن، ما نَغترَّ بأي تنظيم، ولا بأي جماعة، ولا بأي حزب يرفع لنا شعار الإسلام، وإلا يرفع لنا شعار الجهاد، وإلا يرفع لنا أي شعار من الشعارات الإسلامية، العبرة ما هو بالشعار، والعبرة ما هو بالعنوان، ولا بالإعلان، العبرة بالحققة، هل هذا الشعار، هل الواقع، واقع هذا الحزب وإلا هذه الجماعة وإلا هذه الفرقة وإلا هذا الشخص الدّاعي، هل فعلاً واقعه مُطابقٌ للكتاب والسنة، ولما كان عليه السلف الصالح؟! هذا المهم، أمّا كُل من قال لنا أنا أدعو إلى الله، وإلا أدعو إلى الإسلام، وإلا أدعو إلى الجهاد، قلنا له صدقت ورُحنا وراءه، يُوردنا المهالك، لا.

علينا أن نتَّعَظَ، وأن نتأَنَّى، وأن نتدبَّرَ الأمور، وأن نَكُونُ أحرص ما نكون على الرجوع إلى أئمة الإسلام، وأئمة السنة، وعلماء السلف الصالح، ممن منَّ الله بهم علينا، الحمد لله وسائل الاتصال بالعلماء مُتيسِّرة، الي يسافر يُسافر لهم، الي موجودون في بلده الحمد لله، الي ما عنده في بلده علماء أهل سنة راسخون، ولا يقدر يسافر إليهم، يتصل بالتليفون، كل واحد الآن تقريباً في جيبه تليفون وإلا اثنين، اتصل بالعالم، واتصل بالعالم الثقة، ما معنى العالم الثقة؟!

العالم الي دائماً يطلع لك في الشاشات لا، يمكن عالم الثقة ما عمرك شفته في صورة ولا في قناة، ما هو شرط، العالم المقصود به العالم الذي يعلم كتاب الله، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ويعرف ما كان عليه السلف الصالح، وينشر في الأمة علم الكتاب، وعلم السنة، وعلم العقيدة، ارجع إليه واسأله، خذ منه، كما قال الله - عز وجل - : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣)

النحل: ٤٣ .

فالمقصود أنك تربي أبناءك على لزوم السنة، تربي أبناءك على لزوم السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، أنت الآن مثلاً في السعودية، في بلد دولة إسلامية والله الحمد والمنة، رأيت من ولدك مثلاً أنه يسب ولي الأمر، ما دورك ؟ تسكت ؟ لا ما يجوز تسكت، تُشجِّعه ؟!

هذه جريمة أكبر وأكبر، طيب ما الواجب ؟

الواجب أنك تُنبِّهه، تقول له يا ولدي عمك هذا ما يجوز، يقول لك كل الناس تسب، وكل الناس تتكلم، وإن كان كل الناس، كل الناس يحرقون أنفسهم بالنار، تروح تحرق نفسك معهم، لا.

يقول أنس : نَهَانَا كُبْرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : « لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ » ، فانصح ابنك بما نصح به الصحابة، كبار الصحابة، صغار الصحابة، لأن أنسًا يقول: نهانا كبراًؤنا من أصحاب رسول الله "لا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ" فإذا كبار الصحابة نصحوا صغار الصحابة بعدم سبِّ الأُمراء، وصغار الصَّحابة صاروا كبار فيما بعد، وحذَّروا من بعدهم من التابعين، والتابعون نقلوا لنا هذا الهدي، فنحنُ إِذَا نُرَبِّي أبنَاءنا عليه، سمعت ولدي، سمعت بنتي، تَسُب ولي الأمر، أَمْنَعها منها، أول شيء السب ما هو من أخلاق المسلم، والشئ الثاني أن سب ولي الأمر هذه جريمة ثانية بعد، الله - عز وجل - مُنعم عليك بنعم عظيمة، على يد ولي أمرك من غير ما تشعر؛ هذا الأَمْن وهذا الاستقرار وهذه الطمأنينة، بعد فضل الله بسبب من؟!

بسبب ولي الأمر هذا، الله - عز وجل - مَثَّبَ به الأَمْن، وجامع عليه القلوب، وجامع عليه الكلمة، لو راح ولي الأمر، وراحت الدولة، ما الذي سيحصل للناس؟ سيكون بأسهم بينهم - والعياذ بالله -، ولنا عبرة فيما يجري حوالينا، وما هي منا ببعيد، شوفوا البلاد التي فقدت فيها السلطة، وإلا ضعفت حتى فيها السلطة، ما الذي صار أمرهم إليه؟، ذهب الأَمْن وذهب الردع والخوف، فبغى القوي على الضعيف - والعياذ بالله -.

شوفوا المقاطع أشياء يعني يندى لها الجبين، بلد إسلامي ناس مسلمين، وبعضهم يدفن بعض حياً - والعياذ بالله - هذا مسلم وهذا مسلم، بينهم خصومات، بينهم مشاكل، بينهم خلافات، اجتمعوا ثلاثة أو أربعة على واحد، حفروا له حفرة ودفنوه حياً، يقتله ويأكل لحمه كذا قَدَّام الناس،

وإلا يجبر أخوه على أن يأكل من لحم أخيه، واليوم صارت الأمور كلها مصوَّرة ومسجَّلة، وتُنشر في الشرق والغرب، من كان يخطر بباله أن مثل هذا الشيء سيحصل؟!.

فالمهم أن على الآباء أن ينتبهوا لأبنائهم وبناتهم، رأيت ولدك مثلاً يمدح الجماعة الفلانية المعروفة بالتكفير بغير حق، واستحلال دماء المسلمين بغير حق، تنبه أن هذا الشيء غلط، حتى وإن كان هذه الجبهة وإلا هذه الجماعة وإلا هذه الفرقة، ترفع شعار الإسلام، وإلا ترفع شعار دولة إسلامية، العبرة ما هو بالشعارات، ما دام أنه يُكفر المسلمين بغير حق، ويستحل دماء المسلمين بغير حق، هذا إذاً على دين الخوارج الذين حذرَّ منهم النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقال: **«لَيْنَ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَاَقْتُلْنَهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**، تأمل الرسول - عليه الصلاة والسلام - منصف الخوارج، بأنهم من أكثر الناس صلاة، وقراءة، وصيام، ولكن لما كانوا يستحلُّون الدماء بغير حق، ويكفُّون المسلمين بغير حق، قال - عليه الصلاة والسلام -: **«لَيْنَ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَاَقْتُلْنَهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**، وقال عن قتلاهم: **«هَؤُلَاءِ شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ»** وقال عمَّن قتلوه، عمَّن يقتله هؤلاء الخوارج: **«وَاخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَؤُلَاءِ»**.

فإذاً علينا أن نتنبه؛ يجب أول شيء يكون عند الأب، وعند الأم، يكون عندهم بصيرة، وعلم، وبينة بهذه الأمور، ثم أيضاً يُربُّوا أبناءهم وبناتهم على ذلك.

فالمقصود أن الأب والأم عليهم أيضاً أن يكونوا على وعي، الفتن تتجدَّد، والمشاكل تتجدَّد وتتنوَّع، فعلى الأب أن يكون عنده بصيرة، وعلى الأم أن تكون عندها بصيرة، وذلك بالرجوع إلى

فتاوى - كما قلنا - كبار أهل العلم، الحمد لله عندنا في السعودية هيئة كبار العلماء، عندنا اللجنة الدائمة للإفتاء، تصدر عنها بيانات مهمّة وعظيمة، تصدر عن سماحة المفتي العام كلمات مُمتازة مُباركة تنشرها وسائل الإعلام، وغيرهم من كبار علمائنا، يحذّرون فيه من مثل هذه التيارات التي تُضر بالعقائد، وتُضر بالأبناء والبنات، وتُضر بالأمن، وتُجلب الحكم الشرعي في هذه القضايا؛ كالجهاد وغيره والتكفير، فعلى الأب وعلى الأم أن يستعين بما يصدر عن هذه الجهات الموثوقة يدرّسها، ويقرأها، ويفقهها، وبالتالي ينقلها إلى أبنائه وإلى بناته، وينشرها في أسرته، حتى تكون - بإذن الله - عصمة لهم ووقاية لهم من هذه الفتنة.

أحياناً يأتيك ابنك مثلاً وهو يرغب في الجهاد، والجهاد - ما فيه شك - أنه ذروة سنام الإسلام كما صح عنه - صلى الله عليه وسلم - وأمر الجهاد عظيم، وأمر الاستشهاد في سبيل الله عظيم جداً، يعني ما فيه أحد يموت له عند الله خير يعني يدخل الجنة، ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا إلا من ؟ إلا الشهيد، لما رأى من الكرامة، يتمنى أن يعود إلى الدنيا فيقتل، ثم يعود فيقتل، ثم يعود فيقتل، لما رأى من كرامة الله - عز وجل - للشهيد، ولكن لا بد أن يكون هذا الجهاد جهاداً شرعياً، تنطبق عليه الشروط الشرعية للجهاد، حتى يكون جهاداً صالحاً نافعاً مثمراً، هذه الثمرة الطيبة المباركة، وحتى يترتب عليه هذا الوعد الكريم.

لأنه قد يشتبه بالجهاد شيء آخر وهو الفتنة، والقتال بغير حق، وسفك الدماء بغير حق، وبالتالي يكون صاحبه من أهل النار-والعياذ بالله- ويكون صاحبه من أصحاب الفرق الضالة، لا من أهل الفرقة الناجية المتهتدية الطائفة المنصورة.

فإذا أراد ابنك مثلاً أن يخرج للجهاد ناقشه، أي جهاد تقصد؟، قال لك الجهاد في البلد الفلاني، طيب من من العلماء المعتبرين أفتى بأن هذا جهاد؟، خله يعلمك، عطني فتوى عالم معتبر، عالم ثقة، يُفتي بأن هذا جهاد، طيب أعطاك بعض الفتاوى، تكتشف أنها فتاوى لأشخاص مجهولين، مغمورين، أو أشخاص مُتهمين في عقائدهم فتبين له.

كذلك أيضاً لنفرض أنه جهاد شرعي، يبقى السؤال: هل ولي أمرك يأذن لك؟، ولي الأمر في البلد الذي أنت فيه هل يأذن لك بالجهاد؟ لأن العلماء مُجمعون على أن أمر الجهاد موكول إلى الإمام، فإن أذن لك تجاهد، منعك من الجهاد ما تخرج.

كذلك أيضاً هل يجوز لولدك أن يخرج للجهاد بدون إذن أبيه وأمه، لابد أن يرضى الأب، لابد أن ترضى الأم بخروج هذا الابن للجهاد، فلابد أن يكون:

- أول شيء الجهاد شرعي.
- ولابد من موافقة ولي الأمر.
- ولابد من موافقة الوالد والوالدة.

فمناقشة الأبناء، ومناقشة البنات، وتعليمهم بأحكام الشريعة الإسلامية بهذه القضايا، هذا - بإذن الله - من أسباب وقايتهم وحمايتهم من الانحرافات في باب الشُّبهات.

كذلك الآن كثر في وسائل الإعلام ما يتعلّق بالانحرافات في ذات الصّحابة، من الطّعن فيهم، وتكفير الصحابة، وتضليل الصّحابة -رضوان الله عليهم-، فعلينا أن ننتبه أيضًا لهذا الانحراف العقدي الخطير.

فأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هم الذين نقلوا لنا الدّين، الكتاب والسنة والإسلام كلّهُ، إنما نقلوا إلينا عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- هم أصحابه -رضوان الله عليهم-، فالذي يطعن في الصحابة، ويُسبّ الصحابة، ويسخر من الصحابة، ويُقلل من شأن الصحابة، إنّما يعني بذلك هدم دين الإسلام، فالله - عز وجل - ذكر الصحابة فأثنى عليهم، أثنى على المهاجرين، وأثنى على الأنصار، وأثنى على من أسلم قبل الفتح، وعلى من أسلم بعد الفتح، ووعد الرسول والذين آمنوا معه، كلّهم بالجنة، الذين آمنوا به واتبعوه من أصحابه -رضوان الله عليهم- أولّهم وآخرهم، كما في آخر سورة الفتح ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الفتح: ٢٩، إلى آخر الآية أثنى عليهم في سورة الحشر، المهاجرين أول، وبعدين الأنصار، وبعدين الذين اتبعوهم وليس في صدورهم غل على المهاجرين والأنصار، في سورة التوبة، وفي غيرها.

فالمهم أن أصحاب رسول الله - عليه الصلاة والسلام - عند أهل السنة والجماعة بالمكانة العالية السَّامية، كما هو حالُّهم في الكتاب وفي السُّنة الصحيحة، فلنحذر من هذه الظاهرة التي بدأت تنطلي على بعد المتتبعين للسنة؛ لأنه خرج بعض الدَّعاة وللأسف، الذين يثق فيهم النَّاس، وهم يسخرون ببعض الصَّحابة، ويتكلَّمون في بعض الصحابة، ولاسيَّما معاوية -رضي الله عنه وأرضاه-، الذي يُسميه السلف ستر أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، فمن اجتراً على هذا السَّتر، وهتك هذا السَّتر، تجرَّأ على من بعده من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

يعني بعض الناس يتهبَّب أن يطعن في أبي بكر وعُمر، لكنه ينتقد مُعاوية -رضي الله عنه-، فإذا انتقد معاوية، وتجرَّأ على الطعن في معاوية، وانتقاد معاوية، وتقليل شأن معاوية، ذهبت هيبة أصحاب الرسول - عليه الصلاة والسلام - من قلبه، وبالتالي يتجرَّأ على غيره من أصحاب الرسول - عليه الصلاة والسلام -، -ورضوان الله عليهم أجمعين-.

فالواجب الحذر من هذا المسلك، وعلينا لزوم ما كان عليه سلفنا الصالح، من توقير الصحابة، والترَّضي عنهم، واحترامهم، وعدم الخوض في أحدٍ منهم، ولا نذكرهم إلا بالخير.

فإذا رأينا من أبنائنا مثلاً من يُجادل ويُناقش في الصَّحابة، وهم الصحابي الواحد ما هو معصوم، وإلا هم بشر ويخطئون وكذا، نوقفه عند حدِّه، ونقول له لا، النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي»، يعني بالسُّوء، «فَأَمْسِكُوا»، وهذا عند الطبراني،

ويقول-عليه الصلاة والسلام- كما في الصحيحين: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»، أبداً، «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»،

وسُئِلَ أحمد وبن خن وأفضل، عمر بن عبد العزيز وإلا معاوية؟ فقال: غبار دخل في أنف معاوية، خير من عمر بن عبد العزيز، لم؟ لأن عمر ليس صحابياً، ومعاوية صحابي، وأفضل الصحبة لا يعدله شيء، فإذا نُزِّيَ أبناءنا، ونُسِّتْهُمْ على توقير أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وعلى احترامهم، وتعظيمهم، وإجلالهم، طبعاً دون الغلو في أحد منهم.

أيها الإخوة أختم هذه الكلمة بقوله - صلى الله عليه وسلم-: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، والحديث مُخَرَّجٌ في الصَّحِيحَيْنِ من حديث ابن عمر، يقول - عليه الصلاة والسلام-: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، فهذا حديث صحيح يحمّلنا المسؤولية، آباء، أمهات، يحمّلنا مسؤولية من تحت أيدينا من أبنائنا وبناتنا، ومعنى ذلك أنك مسؤول عنهم يوم القيامة، وإذا استشعر الأب، واستشعرت الأم هذه المسؤولية، كان هذا -بإذن الله- من أعظم أسباب سعي الأب وسعي الأم في إصلاح أولاده وبناته، وفي السعي في حمايتهم ووقايتهم من كل شرّ.

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - والحديث في الصحيح أيضاً:

«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً»، رعية كبيرة وإلا صغيرة، قد تكون هذه الرعية زوجتك، قد تكون زوجتك وولدتك وبنتك، «يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ هُمْ»، يعني ما نصحهم، ولا اتقى الله فيهم، ولا خاف الله فيهم، ما مصيره ؟ قال: «إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» أعاذنا الله وإياكم.

فالوصية لنفسي ولكم بتقوى الله في أبنائنا وفي بناتنا، والإحسان في تربيتهم، والعناية بهم، التربية ما هي محصورة فقط في أنك تؤكّله، وتشربه، وتلبسه، وتدرسه، وتشترى له سيارة وإلا جهاز تليفون وإلا غيره، لا، هذه تربية جسدية، تربية أعظم منها تربية قلبه على الإيمان، وعلى العمل الصالح، وعلى الخوف من الله، وعلى لزوم العقيدة الصحيحة، وعلى أن يكون عضواً صالحاً في وطنه، وفي مجتمعه، يسمع ويُطيع لولاية أمره، ويتعاون مع إخوانه على البر والتقوى، هذا المطلوب.

أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يُصلح ذريّاتنا، وأن يُصلح أزواجنا، ويجعل لنا منهم قرّة أعين إنه سميع الدعاء، كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يُجَنِّبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يُصلح وُلاة أمورنا، وأن يُديم على هذه البلاد أمنها واستقرارها واجتماع كلمتها، وأن يُصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يَحِقِّن دماءهم، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

وأعتذر عن الأسئلة، وفيما قلنا - إن شاء الله - كفاية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



وجزاكم الله خيرا.